

كلمات يسيرات

في

قبرته ابن أبي زيد من إنكار الكرامات

أعدّه

أبو بكر يوسف قديري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين،  
أما بعد

فقد قال الشيخ زروق<sup>1</sup> في شرحه على رسالة ابن أبي زيد القيرواني عن مؤلفها: (قالوا: وكان ينكر الكرامات، ثم اختلفوا: هل حقيقة أو حماية للذريعة؟ وهل رجع أم لا؟ والله أعلم.)<sup>2</sup>

وهذه تبرئة للإمام ابن أبي زيد من هذه التهمة:

### ترجمة موجزة للإمام ابن أبي زيد<sup>3</sup>

قال الذهبي<sup>4</sup>: (هو الإمام، العلامة، القدوة، الفقيه، عالم أهل المغرب، أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني، المالكي، ويقال له: مالك الصغير. وكان أحد من برز في العلم والعمل.  
قال القاضي عياض: (حاز رئاسة الدين والدنيا، ورجل إليه من الأقطار ونجب أصحابه، وكثر الآخذون عنه، وهو الذي لخص المذهب، وملا البلاد من تواليه، تفقه بفقهاء القيروان، وعول على أبي بكر بن اللباد.)

1- هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي، المعروف بزروق (المتوفى: ٥٨٩٩هـ).

2- [شرح زروق على متن الرسالة ص ١٣]

3- انظر مقدمة تحقيق كتابه [النوادر والزيادات] فقد توسع المحقق -جراه الله خيراً- في ترجمته.

4- [سير أعلام النبلاء ١٨/١٠].

وَأَخَذَ عَنْ: مُحَمَّدِ بْنِ مَسْرُورِ الْحَجَّامِ، وَالْعَسَّالِ، وَحَجَّحَ، فَسَمِعَ مِنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْأَعْرَابِيِّ، وَمُحَمَّدِ ابْنِ الْفَتْحِ، وَالْحَسَنِ بْنِ نَصْرِ الشُّوسِيِّ، وَدَرَّاسِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، وَغَيْرِهِمْ.

سَمِعَ مِنْهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ، مِنْهُمْ: الْفَقِيهَ عَبْدَ الرَّحِيمِ بْنِ الْعَجُوزِ السَّبْتِيِّ، وَالْفَقِيهَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ غَالِبِ السَّبْتِيِّ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ سَعْدِ الْأَنْصَارِيِّ، وَأَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْخَوْلَانِيُّ.

صَنَّفَ كِتَابَ (النُّوَادِرِ وَالزِّيَادَاتِ) فِي نَحْوِ الْمِائَةِ جُزْءٍ<sup>5</sup>، وَاخْتَصَرَ (الْمُدَوَّنَةَ)<sup>6</sup>، وَعَلَى هَذَيْنِ الْكِتَابَيْنِ الْمُعَوَّلُ فِي الْفُتْيَا بِالْمَعْرَبِ، وَصَنَّفَ كِتَابَ (الْعُنْبِيَّةِ) عَلَى الْأَبْوَابِ، وَكِتَابَ (الْاِقْتِدَاءِ بِمَذْهَبِ مَالِكٍ)، وَكِتَابَ (الرِّسَالَةِ)، وَكِتَابَ (الثَّقَّةِ بِاللَّهِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ)، وَكِتَابَ (الْمَعْرِفَةِ وَالتَّفْسِيرِ)<sup>7</sup>، وَكِتَابَ (إِعْجَازِ الْقُرْآنِ)، وَكِتَابَ (النَّهْيِ عَنِ الْجِدَالِ)، وَرِسَالَتَهُ فِي الرَّدِّ عَلَى الْقَدْرِيَّةِ، وَرِسَالَتَهُ فِي التَّوْحِيدِ، وَكِتَابَ (مَنْ تَحَرَّكَ عِنْدَ الْقِرَاءَةِ). وَقِيلَ: إِنَّهُ صَنَعَ (رِسَالَتَهُ) الْمَشْهُورَةَ وَلَهُ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً.

قُلْتُ [أَيِ الذَّهَبِيِّ]: وَكَانَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - عَلَى طَرِيقَةِ السَّلَفِ فِي الْأُصُولِ، لَا يَذْرِي الْكَلَامَ، وَلَا يَتَأَوَّلُ، فَسَأَلُ اللَّهَ التَّوْفِيقَ.

وَلَمَّا تُوفِّيَ رَثَاهُ عِدَّةٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ.

قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ الْحَبَّالُ: مَاتَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ لِنِصْفِ شَعْبَانَ، سَنَةَ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِ مِائَةٍ، وَكَذَا أَرَخَهُ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ مَنَدَةَ، وَأَرَخَ مَوْتَهُ الْقَاضِي عِيَاضٌ وَغَيْرُهُ فِي سَنَةِ سِتِّ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِ مِائَةٍ.

5- طبعته دار الغرب الإسلامي في ١٥ مجلدًا، ورغم طوله فقد ذكر ابن فرحون (ت ٧٩٩) أنه كان يحفظه أبو عبد الله محمد بن عمر بن يوسف بن بشكوال يعرف بابن الفخار (ت ٤١٩) وأبو الربيع سليمان بن عبد الواحد بن عيسى بن سليمان الهمداني (ت ٥٩٩)

6- طبعه مركز نجيبويه في أربعة مجلدات بعنوان: اختصار المدونة والمختلطة.

7- قال محققو السير: (كذا في الأصل و" تاريخ الإسلام"، وفي " ترتيب المدارك" و" الديباج المذهب" و" شجرة النور": " المعرفة واليقين"، قال محقق [النوادر والزيادات] (وتحرف "اليقين" إلى: التفسير).

قال القاضي عياض<sup>8</sup>: (وعوّلى على أبي بكرِ ابنِ اللَّبَّادِ (٣٣٣)، وأبي الفضل الممسي<sup>9</sup> (٣٣٣)، وأخذ أيضاً عن محمد بن مسرور العسّال (٣٤٦)، والحجّام، وعبيد<sup>10</sup> الله بن مسرور بن الحجّام (٣٤٦)، والقطان والإبّياني، وزيد بن موسى، وسعدون الخولاني (٣٢٤)، وأبي العرب (٣٣٣)، وأحمد ابن أبي سعيد، وحبیب مولى ابن أبي سليمان (٣٣٩) في آخرين. ورحل فحجّ، وسمع من ابن الأعرابي (٣٤١)، وإبراهيم بن محمد بن المنذر<sup>11</sup>، وأبي علي بن أبي هلال، وأحمد بن إبراهيم بن حماد القاضي. وسمع أيضاً من الحسن بن بدر، ومحمد بن الفتح، والحسن بن نصر السوسي (٣٤١)، ودّراس بن إسماعيل (٣٥٧)، وعثمان بن سعيد الغرابلي، وحبیب بن أبي حبیب الجزولي، وغيرهم. واستجاز ابن شعبان (٣٥٥)، والأبهريّ (٣٧٥)، والمروزيّ.

وسمع منه خلق كثير. وتفقه عنده جلة. فمن أصحابه القرويين: أبو بكر بن عبد الرحمن (٤٣٢)، وأبو القاسم البرادعي<sup>12</sup>، واللبيدي (٤٤٠)، وابنا الأجدابي<sup>13</sup>. وأبو عبد الله الخواص (٤٢٨)، وأبو محمد مكّي [بن أبي طالب] المقرئ (٤٣٧). ومن أهل الأندلس: أبو بكر بن موهب المقبري<sup>14</sup> (٤٠٦)، وابن عابد (٤٣٩)، وأبو عبد الله ابن الحذاء، وأبو مروان القنازعي (٤١٣). ومن أهل سبتة: أبو

8- [ترتيب المدارك ٢١٧/٦] لأبي الفضل القاضي عياض اليحصبي السبتي (ت ٥٤٤). وكلّ نقلٍ عنه غير معرّف فهو في هذا المجلد.

9- (ممسي: بالفتح ثم السكون، والسين مهملة، مقصور: قرية بالمغرب). [معجم البلدان ١٩٨/٥]، ونقل محقق [رياض النفوس ٢٩٢/٢] عن البكري في مسالكه أنها قرية بين سببة والقيروان.

10- (عبد الله) في [رياض النفوس ٤٢٢/٢] و[الديباج المذهب ٤٢٨/١].

11- أبوه الإمام ابن المنذر محمد بن إبراهيم النيسابوري (ت ٣١٨).

12- ويقال في هذه النسبة [البرادعي] بالمعجمة، وهي نسبة إلى عمّل البردعة. انظر [القاموس المحيط برذ ع]

13- وهما: الحسن والحسين ابنا عبد الله بن عبد الرحمن الأجدابي، وأشهرهما الثاني.

14- ترجم لابنه عبد الواحد في [سير أعلام النبلاء ١٧٩/١٨] وقال: (القبري نسبة إلى مدينة: قبرة).

وفي [معجم البلدان ٣٠٥/٤] (قبرة: بلفظ تأنيث القبر، أظنها عجمية رومية: وهي كورة من أعمال الأندلس تتصل بأعمال قرطبة من قبليها). ووقع عنده (تمام بن وهب القبري) والصواب: محمد بن موهب. وسيأتي الكلام عن ابن موهب في محنة شيخه.

عبد الله بن العجوز (٤١٨)، وأبو محمد بن غالب (٤٣٤)، وخلف بن ناصر، ومن أهل المغرب: ابن أمّ دكّوتوا السّجلّماسي<sup>15</sup>.

ومن تلاميذه الذين أخذَ هو عنهم عبدُ الله بن إبراهيم الأصيلي الأندلسي (ت ٣٩٢) راوي صحيح البخاري، كتب عنه ابنُ أبي زيد عن شيوخه الأندلسيين.

## موقف أهل السنة من الكرامات

(الكرامة: أمر خارق للعادة، يُجرّبه الله تعالى على يد وليّ؛ تأييداً له، أو إعانَةً، أو تثبيتاً، أو نصراً للدين).<sup>16</sup>

ولا يدخل في هذا التعريف آياتُ وبراهينُ الأنبياء وإن كانوا هم سادات الأولياء (لأنّ الوليّ هنا لفظ اصطلاحيّ يُعنى به: كلّ مؤمن تقيّ ليس بنبيّ)<sup>17</sup>

قال شيخ الإسلام ابن تيمية<sup>18</sup>: (وَمِنْ أَصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ: التَّصَدِيقُ بِكَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ، وَمَا يُجْرِي اللَّهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ، فِي أَنْوَاعِ الْعُلُومِ وَالْمُكَاشَفَاتِ، وَأَنْوَاعِ الْقُدْرَةِ وَالتَّأْثِيرَاتِ، كَالْمَأْثُورِ عَنِ سَالِفِ الْأُمَّمِ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ وَغَيْرِهَا، وَعَنْ صَدْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَسَائِرِ قُرُونِ الْأُمَّةِ، وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ).

15- في ترتيب المدارك (ابن امدكنو) والتصحيح من [الديباج المذهب] بواسطة محقق [النوادر والزيادات].

16- [شرح العقيدة الواسطية ٢/٢٩٨] للعلامة ابن عثيمين.

17- [اللاكئ البهية في شرح العقيدة الواسطية ٢/٤٩٥] للشيخ صالح آل الشيخ.

18- في [العقيدة الواسطية] من [مجموع الفتاوى ٣/١٥٦].

وقال العلامة ابنُ عُثَيْمِينَ<sup>19</sup> : (وهناك مذهب مخالف لمذهب أهل السنة، وهو مذهب المعتزلة<sup>20</sup> ومن تبعهم؛ حيث إنهم ينكرون الكرامات، ويقولون: إنك لو أثبتت الكرامات؛ لاشتبه الساحر بالولي والولي بالنبي؛ لأنَّ كلَّ واحد منهم يأتي بخارق. فيقال: لا يمكن الالتباس؛ لأنَّ الكرامة على يد ولي، والولي لا يمكن أن يدعي النبوة، ولو ادَّعاهَا؛ لم يكن وليًّا. آية النَّبِيِّ تكون على يد نبي، والشعوذة والسحر على يد عدوٍّ بعيدٍ من ولاية الله، وتكون بفعله باستعانتة بالشياطين، فينالها بكسبه؛ بخلاف الكرامة؛ فهي من الله تعالى، لا يطلبها الولي بكسبه.)

### الفرق بين آية النبي وكرامة الولي والأحوال الشيطانية

قال الشيخ صالح آل الشيخ<sup>21</sup>:

(أولاً: أنَّ الأمرَ الخارق للعادة بحسب مَنْ يضاف إليه:

- فإذا أضيف للنبي فهو آية وبرهان ومُعْجَزَة.

- وإذا أضيف للولي فهو كرامة.

- وإذا أضيف لشيطان أو عاصٍ أو مبتدع فهو حال شيطانية.

**ثانياً:** أنَّ خرقَ العادة للولي لا يكون مصحوبًا بدَعْوَى النَّبُوَّةِ، فإذا ادَّعَى مع تلك الحالِ النبوة صار

حالاً شيطانية.

19- [شرح العقيدة الواسطية ٢/٣٠٠].

20- أما الأشاعرة فيغلون في إثبات كرامات الأولياء حتى جعلوها مع معجزات الأنبياء من جنس واحد ومرتبة واحدة، وعمدتهم كتاب الباقلاني [البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والسحر والكهانة والنانجات] وقد ردَّ عليه شيخ الإسلام في كتاب مستقلٍّ وهو كتاب [النوآت].

21- [إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل ص ٨٩٩-٩٠٣] وهو دروس مفرَّغة لم يراجعها الشيخ. وانظر مختصره [الوافي في اختصار شرح عقيدة أبي جعفر الطحاوي ص ٢٤٣]

**ثالثاً:** أن خرق العادة للنبي أوسع بكثير وأعظم ممّا تُخرقُ به العادة للولي، فخرقُ العادة للولي محدود بالنسبة لخرق العادة للنبي. فالأنبياء يخرقُ الله - عز وجل - لهم عادة الجن والإنس في زمانهم، حتى يكون ما يُعطونه آيةً وبرهاناً؛ كما قال - عز وجل - {قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} [الإسراء: ٨٨]، فالقرآن آية، وهكذا الآيات التي أوليها موسى لا تستطيعها السحرة ولا الكهنة، وكذلك ما أعطى الله - عز وجل - عيسى من الآيات، وكذلك كل نبي ورسول، لا يستطيعه أهل زمانهم من الإنس والجن، لو اجتمعوا فإنهم لا يستطيعون ذلك.

- أمّا خوارق الشياطين والسحرة فهذه محدودة: قد تكون تخيلاً [-يعني تصويراً للعين-] وقد تكون تشكلاً لكن ليس ثمّ مادةٌ وقلبٌ حقيقي.

**رابعاً:** أن كرامة الولي لا تبلغ جنس آية النبي وإن اشتركت معها في الصورة. هذا هو الذي عليه أهل السنة والجماعة. اه بتصرف.

## براءة ابن أبي زيد من إنكار الكرامات

### ظهور الصوفية في صقلية

لما فتح أهل القيروان صقلية<sup>22</sup> غلب على أهلها شيئان: الجهاد والزهد،

يقول د/ إحسان عباس<sup>23</sup>: (وفي وقت قصير أصبحت صقلية كلها رباطاً يستدعي اليقظة في الهجوم والدفاع وعاد النوعان من الميل يظهران في نفوس الناس، ففريق من الصالحين آثر الحرب والجنديّة، وفريق قنع بالانفراد والانقطاع عن الدنيا.)

22- أكبر جزر البحر المتوسط فتحها الأغلبية سنة ٢١٢ وأخذتها النصارى سنة ٤٨٤ هـ. انظر [تاريخ الإسلام ٤٧٣/١٠]

23- في كتابه [العرب في صقلية ص ١١٣]

وكما وقع كثير من المترهدة المشاركة في بدعة التصوّف والرهبنة؛ وقع في ذلك بعضُ مترهدة صقلية بسبب اتصالهم بأهل المشرق خصوصًا العراق، فبدأت ردود أهل السنة في المغرب على بدع هؤلاء، واشتدّ الأمر لما ظهرت في صقلية الطريقة البكرية، ونُسبت إلى عماد الدين عبد الرحمن بن محمد البكري الصقلي (ت ٣٨٠) <sup>24</sup>.

يقول د/ إحسان عباس <sup>25</sup>: (أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله البكري الصقلي "إمام الحقيقة وشيخ أهل الطريقة" <sup>26</sup>، فقد طلب العلم في القيروان وذهب في رحلة إلى المشرق وحجّ وسمع بمكة سنة ٣٥٠ هـ وكان إلى جانب تصوّفه محدثًا فقيهاً أصوليًا.

وألف أبو القاسم الصقلي في التصوف عدة مؤلفات منها:

1 - الأنوار في علم الأسرار ومقامات الأبرار ويسمى عادة أنوار الصقلي .

2 - كتاب فيه الدلالة على الله تعالى .

3 - الشرح والبيان لما أشكل من كلام سهل بن عبد الله التستري .

4 - صفة الأولياء ومراتب أحوال الأصفياء .

5 - كرامات الأولياء والمطيعين من الصحابة والتابعين ومن يتبعهم بإحسان .

وقد حفظت الأيام كتابيه الأول والثالث وقطعة من الثاني. وهذه القطعة تشتمل على كثير من

الحكايات المروية عن الصوفية وكراماتهم، وكثيرٌ منها سمعه الشيخ الصقلي عن شيوخه، وفيها أقوال

---

24- انظر مقدمة تحقيق كتاب [الاستغاثة الكبرى] للدكتور السهلي ص ٣٢، فقد نسبها إليه، والظاهر أنه أحد أصحابها فقط وأنها أسست قبله بدليل أن محمّد بن الإمام سحنون المتوفى سنة ٢٥٦ هـ ذكروا من تأليفه [الرد على البكرية] كما في [ترتيب المدارك ٢٠٧/٤] و[المديح المذهب ١٧١/٢].

25- [العرب في صقلية ص ١١٥]

26- هذه من الألقاب الصوفية المخترعة.

مشاهير المتصوفة، كبهلول وبشر بن الحارث وإبراهيم بن أدهم وسيفان بن عيينة<sup>27</sup> وحكايات عن الخضر وشعيب -عليهما السلام-، وربما كانت قطعةً من كتابه الخامس مع اختلاف في التسمية.

وكان ممن ردّ على هؤلاء الصوفية الإمام ابن أبي زيد في كتابه "كشف التلبيس" و"الاستظهار في الردّ على البكرية" كما سيأتي<sup>28</sup>، فنسبوا إليه نفي الكرامات.

وقد برّاه العلماء من هذا الأمر:

### تبرئة القاضي عياض

قال -رحمه الله-:

(ولما ألف كتبه على الفكرية<sup>29</sup>، ونقض كتاب عبد الرحمن<sup>30</sup> الصقلي، بتأليفه الكشف وكتاب الاستظهار، وردّ كثيرًا مما تقلّده من خارق العادات، على ما قرّره في كتابه = شنّعت المتصوفة وكثير من أصحاب الحديث عليه ذلك. وأشاعوا أنه نفي الكرامات. وهو -رضي الله عنه- لم يفعل، بل من طالع كتابه، عرف مقصده. فردّ عليه جماعة من أهل الأندلس، ومن أهل المشرق، وألّفوا عليه تواليفَ معروفة، ككتاب أبي الحسن بن جهضم الهمداني<sup>31</sup> (٤١٤)، وكتاب أبي بكر الباقلاني، وأبي

27- الصوفية يدعون على كثير من السلف أنهم على طريقتهم، وإنما هي دعاوى عارية عن الدليل.

28- وردّ عليهم أبو الحسن القابسي (ت ٤٠٣) [الديباج المذهب ١٠٢/٢] والداودي شارح البخاري (ت ٤٠٢) [ترتيب المدارك ١٠٢/٧] وغيرهما من علماء المالكية الذين عاصروا هذه البدعة.

29- كذا في المطبوع والصواب: البكرية. كما علمت.

30- في نسخة الشاملة: عبد الرحيم والتصحيح من المطبوع.

31- قال عنه الذهبي (شيخ الصوفية بالحرم) وقال (ليس بثقة، بل متهم، يأتي بمصائب. قال ابن خيرون: قيل: إنّه يكذب) [السير ٢٧٦/١٧]، وقال: (ولقد أتى بمصائب يشهد القلب ببطلانها في كتاب: "بهجة الأسرار") [تاريخ الإسلام ٢٣٨/٩]. وفيهما (الهمداني).

عبد الله ابن سُقَّ الليل<sup>32</sup> (٤٥٥)، وأبي عمر الطَّلَمَنكي (٤٢٩) في آخرين. وكان أرشدهم في ذلك وأعرفهم بغرضه ومقداره، إمامُ وقته القاضي أبو بكر بن الخطيب الباقلائي؛ فإنه بيّن مقصوده.

### تبرئة الباقلائي

وقال إمام الأشعرية الباقلائي<sup>33</sup>: (وقد كان بعض أصحابنا المغاربة ذكر لنا من إنكار شيخنا أبي محمّد عبد الله بن أبي زيد القيرواني -رحمه الله- لذلك ما لم يثبت عنه عندنا ولم يحكه الراوي لنا عن لفظه وسماعه.

ولعله إن كان قال ذلك فإنّما أنكر منه ما يجب إنكار مثله. فإنّنا لا نجيز الكرامات للصالحين بجميع الأجناس وبمثل سائر آيات الرسل -عليهم السلام-.

أو لعله أنكر ذلك لمثل من لا يجوز ظهوره على مثله،

أو أنكر إغراقاً في ذلك وتجاوزاً لا يجوز المصير إليه؛

لأنّ فضل علمه وما نعرفه من دينه وحسن بصيرته واضطلاعه بعلم أصول الدين والانبساط في التوسّع في معرفة فروع وأحكامه يُعَدُّ عندنا خلافه في هذا الباب إلا على وجه ما ذكرنا.

### تبرئة شيخ الإسلام

قال شيخ الإسلام<sup>34</sup>: (فقالت طائفة: لا تُخرق العادة إلا لنبيّ. وكذبوا بما يُذكر من خوارق السحرة والكهان، وبكرامات الصالحين. وهذه طريقة أكثر المعتزلة وغيرهم؛ كأبي محمد بن حزم وغيره.

32- انظر ترجمته [سير أعلام النبلاء ١٨/١٢٩].

33- [البيان ص ٥]

34- [النبوات ١٢٩-١٣٣]

بل يُحكي هذا القول عن أبي إسحاق الإسفراييني، وأبي محمد بن أبي زيد. ولكن كأنّ في الحكاية عنهما غلطاً؛ وإنما أرادوا الفرقَ بين الجنسين.

وهؤلاء<sup>35</sup> يقولون: إنّ ما جرى لمريم، وعند مولد الرسول -صلى الله عليه وسلم- فهو إرهابٌ؛ أي توطئةٌ، وإعلامٌ بمجيء الرسول، فما خُرقت في الحقيقة إلاّ لنبِيِّ.

**فيقال لهم:** وهكذا الأولياء، إنّما خُرقت لهم لمتابعتهم الرسول؛ فكما أنّ ما تقدّمه فهو من معجزاته، فكذلك ما تأخّر عنه.

### تبرئة الدبّاغ

قال الدبّاغ (ت ٦٩٦ هـ)<sup>36</sup>: (ولم يكن مذهبه إنكارَ سائرهما وإنّما كان يبلغه عن ابن الصقلّي أشياء الله أعلم بها وبصحتها كأنّها عنده من جنس المُحالات، فكان ينكر ذلك، وكيف وهو يحكي كثيراً من الكرامات عن أبي إسحاق السّبائي<sup>37</sup>؟)، وقال: (ولأبي محمّد جزء في إثبات كرامات الأولياء).

### تبرئة أبي عمّار الطلمنكي<sup>38</sup>

**قال القاضي عياض:** (قال الطلمنكي: كانت تلك من أبي محمّد نادرةً لها أسباب، أوجبها التنافر<sup>39</sup> الذي يقع بين العلماء، صحّ عندنا رجوعه عنها. ولم يُرد في ظاهر أمره إلاّ تحصين النبوءة، فأدى الأمر إلى أن جهل<sup>40</sup> الكرامات باعتلاله لها!! وإلاّ فهو أجلّ من أن ينكرها إنكاراً إبطالاً لها،

35- أي أكثر المعتزلة.

36- في كتابه [معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ١١٢/٣]

37- المتوفّى سنة ٣٥٦ هـ، ترجمته في [معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ٦٣/٣]

38- المتوفّى سنة ٤٢٩ هـ قال عنه الذهبي (صنّف كتباً كثيرةً في السُّنة يلوح فيها فضله وحفظه وإمامته وإتباعه للأثر). [السير ٥٦٧/١٧]

39- في نسخة الشاملة: التناظر.

40- في نسخة الشاملة: حمل! والزيادة من الشاملة، وقد اضطرب ناسخ الشاملة في هذا الموضع اضطراباً واضحاً.

وإنما أنكرها فيما بلغنا عن طبقات عندهم [على] محتالين لأكل أموال الناس، مخادعين للجهّال.  
وقد روى منها وأملى كثيرًا.)

### تبرئة الأنفاسي<sup>41</sup>

( أما يوسف الأنفاسي (ت ٧٦١) فينقل تبريرًا لإنكار الكرامات، وهو أنّ البدع كثرت في زمانه فكان ينكر ما كانوا يزعمونه من الأشياء مع بدعهم. )<sup>42</sup>

### تبرئته نفسه

وذلك من خلال تأليفه كتاب "جزء في إثبات كرامات الأولياء" كما أشار إليه الطلمنكي فيما تقدّم، ونصّ عليه الدباغ (ت ٦٩٦)<sup>43</sup> وإسماعيل باشا البغدادي (ت ١٣٩٩)<sup>44</sup>.

### تبرئة تلاميذه له وعلى رأسهم الإمام أبو بكر ابن موهب القبري

قال القاضي عياض<sup>45</sup>: (كان أبو بكر هذا لتعلقه بهذه العلوم النظرية الغريبة بالأندلس مشومًا عند كثير من الفقهاء بقرطبة)

---

41- يوسف بن عمر أحد فقهاء فاس من تلاميذ عبد الرحمن بن عفان الجزولي (ت ٧٤١)، قيد عنه الطلبة شرحًا على الرسالة. توفي سنة ٧٦١ [شجرة النور الزكية ص ٢٣٣]

42- قاله محقق [الرسالة الفقهية مع شرح غريبها غرر المقالة ص ٣٧] نقلًا عن مخطوط [شرح الأنفاسي على الرسالة].

43- [معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ١١٣/٣]، وقد تقدّم النقل عنه.

44- في كتابه [هدية العارفين ٤٤٧/٢]

45- [ترتيب المدارك ١٨٩/٧]

قال (وكان أبو عون الله شيخُ المحدثين، في طائفة من أصحابه منهم أبو عمر الطلمنكي تلميذه، قد أُغْرُوا به، فجرت بينه وبينهم قصص ومجاوبات في مسألة الكرامات، فإنَّ ابنَ موهب كان يذهب فيها مذهب شيخه أبي محمّد بن أبي زيد رحمه الله، في إنكار الغلوّ فيها. وكان أولئك يُجيزونها ويسعون في رواية أشياء كثيرة منها.)

قال: (فجرت بينهم في هذه المسائل فتن لاسيما عند موت ابن عون الله تداركها ابنُ أبي عامر<sup>46</sup>، فسير جماعة من الطائفتين عن الأندلس إلى العدو فيهم ابن القبري هذا، مع طائفة من أضداده. وكان الأصيلي وابن ذكوان في طائفة من نحارير العلماء في حزب القبري، وجماعة الفقهاء والمحدثين في الحزب الآخر. فخرج القبري إذ ذاك إلى العدو)

قال: (ثم راجع الأندلس خفية فورد قرطبة مستترا، فرمى بنفسه على الأصيلي، ففزع الأصيلي لذلك، لسطوة ابن أبي عامر، فوبخه القبري وقال له: افعل ما بدا لك فعلى الله توكليلي، أو نحو هذا، فأعلم الأصيلي ابن أبي عامر بالأمر وأنه لم يعرف به حتى ورد عليه ورفعته إليه، فعفا عنه ولزم قرطبة مُمسكاً لسانه<sup>47</sup> بقية دولتهم، وتوفي بقرطبة سنة ست وأربعمائة.)

## خاتمة

خلاصة ما ذكره هؤلاء العلماء والأئمة:

- أن هذا الأمر لم يصحّ عن الإمام بل هو إشاعة فقط.

- أنه أشاعه عنه الصوفية بسبب ردوده عليهم.

- أنه كان ينكر ما يزعمه الصوفية من الأشياء المبتدعة.

46- هو الحاجب المنصور، حاجب الممالك الأندلسية، تُوفّي مجاهداً في أقصى الثغور سنة ٣٩٣ [سير أعلام النبلاء ١٥/١٧].

47- في المطبوع: لشأنه.

- أنه إنما أنكر الغلوّ في الكرامات .
- أنه أنكر ظهورَ الكرامات من غير أهلها من المحتالين والمخادعين .
- أنه صدر منه ذلك بسبب التنافر الذي يكون بين العلماء ثمّ رجع عنه<sup>48</sup> .
- أنه أخذ عنه ذلك في مقام المناظرات مع المُبطلين والاحتجاج عليهم<sup>49</sup> .
- أنه ألف كتاباً في إثبات الكرامات .
- أنه كان يحكي ما شاهده من الكرامات على يد مشايخه .
- أنه كان يُنكر جعلَ الكرامات والمُعجزات من جنس واحد<sup>50</sup> خلافاً للأشاعرة .

رحم الله القيروانيّ ما كان صوفيّاً ولا أشعريّاً

وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم

كتبه يوسف قديري

يوم السبت ١٩ شعبان ١٤٣٩

48- وهذا من أضعف هذه الوجوه .

49- وهذا حسَبَ كلمة: **التناظر** التي وردت في الشاملة، وقد سمعتُ الشيخ صالحاً آل الشيخ يقول: لا يؤخَذ مذهب الرجل من مناظراته . قال محقق [رسالة السجزي إلى أهل زبيد ص ٢٢٨]: (ونخلص من ذلك إلى احتمالين:

الأول: أنّ ابن أبي زيد لم ينكر الكرامات الثابتة للصالحين، وإنّما أنكر ما يدّعيه أهل البدع من وقوع خوارق العادات، واعتبارها كرامات لهم؛ فلم يفهم كثيراً مقصوده، ونسب إليه القول بإنكار الكرامات . وهذا الرأي يميل إليه الباقلائي، والقاضي عياض، وابن تيمية .

الثاني: أنه وقع منه ذلك لأسباب، منها: **داعي المناظرة والجدل والإلزام**، لكنه رجع عن ذلك . وهذا ما ذهب إليه الطلمنكي .

وعلى كلا الاحتمالين، فلا يعتبر منكراً لكرامات الأولياء؛ لأنّه إما لم يكن وقع منه أصلاً، أو يكون قد وقع منه، ورجع عنه . والله أعلم)

50- وهذا من أحسن الأجوبة وأدقّها، وقد أشار إليه شيخ الإسلام كما تقدّم .



- دولة الأغلبيّة (١٨٤-٢٩٠هـ) -



- جانب من مدينة القيروان -